

سعادة الطاعة في فعل الخير



للعطاء أوجه متعددة يمكن أن يقدّمها الإنسان للأشخاص المحيطين به، أو المقرّبين على وجه التحديد، بيد أن هناك مَنْ يرى أنّ العطاء قد يكون متشعباً ويضحي الإنسان من خلاله بأُمور كثيرة، مقابل أن يقدّم السعادة للآخرين. ولأوجه العطاء أثر إيجابي على المدى البعيد، لأشخاص ضحّوا بحياتهم من أجل حياة آخرين.. فقد حصّنا الإسلام على فعل الخيرات والعطاء والتكافل، حيث تبرز إنسانية الإنسان في وجهها المشرق الذي يملأ الحياة سعادةً وألفةً وطمأنينةً، والمجتمع المتوادّ والمتراحم والمعطاء الذي يضحي أفراداه في سبيل الآخرين، ويعطون من أوقاتهم وجهدهم وإمكاناتهم في سبيل رفع الحرمان ومساعدة الآخرين، هو مجتمع يعيش بالفعل روح الإسلام في الدعوة إلى الخيرات ونشر المحبة والتآلف، وبذلك يتعرّز وضع المجتمع وتقوى أُسسه، وتتكسّر العلاقات الإنسانية فيه بأحسن صورها وأصدقها نبلاً.

وعن الذين يقومون بفعل الخيرات، قال تعالى: (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (المؤمنون/ 61)، لأنّهم ارتكزوا في حياتهم على القاعدة الصلبة التي ينطلق منها كلّ خير، وهي الإيمان بالله وبتوحيده، والخوف منه، والمحبة له، والوجل من المصير يوم الحساب، ولذلك فإنّهم ينتهزون كلّ فرصة لعمل الخير، لنلّا تفوتهم، فتفوتهم سعادة الطاعة ونتائجها السعيدة، فيسارعون فيها.. (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون/ 61)، لأنّ مَنْ يسارع إلى الهدف الذي يحبه، لا بدّ من أن يسبق الناس إليه.. وتلك هي الجذّة التي يتنافس فيها المتنافسون، وينطلق إليها المتسابقون، (وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا) (المؤمنون/ 62)، فلن يكلفه على عمله الخير، وعليه القيام بما يستطيعه منه، فلن يطلب الله منه أكثر من ذلك، لأنّ الله لا يكلف عباده بما لا يطيقون، لأنّه ظلم لا يصدر عنه - سبحانه - وسيجزيه الله جزء ذلك، (وَلَدَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْظُرُ بِالْحَقِّ) (المؤمنون/ 62) يسجّل لعامل الخير كلّ دقائقه وخفاياه، (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (المؤمنون/ 62) شيئاً من ذلك، بل يأخذونه وافياً كاملاً غير منقوص.

كما لا بدّ من أن نربّي أنفسنا على أن نكون كالشمس، كما يقول السيّد المسيح (عليه السلام)، تطلع على البرّ والفاجر، وكالينبوع، يتدفّق لأنّه لا يعرف إلا أن يعطي الماء لمن يريد أن يشرب، من دون

النظر في هويّة الشارب.. فمن أبرز علامات المؤمن، والتي شكّلت وتشكّل الأساس في بناءه شخصيته، هي امتلاكه روح المبادرة. فالمؤمن هو مَنْ يبادر أينما وجد، وفي أيّ ميدان، سواء في الميدان الديني أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، للتعامل مع شؤون الدُّنيا، ويبادر للحصول على الموقع المميّز عند الله في الآخرة. وهو لا يحتاج إلى مَنْ يدفعه للقيام بمبادراته، فدافعه إليها ينبع من ذاته، من إيمانه وإخلاصه لربه. لذلك تراه لا يهدأ، بل يسارع إلى التحرك والحضور والفاعلية والسبق إن هو سمع بمعاناة إنسان فقير أو يتيم أو معوّق أو مسنّن، أو بظلم تعرّض له مجتمع أو وطن أو فرد، بعيداً كان أو قريباً. هو لا يمرّ مرور الكرام على الخلافات التي قد تحصل في عائلته أو حيّه أو مجتمعه أو وطنه ويدير لها ظهره، بل يعيش هموم الناس مَنْ حوله وآلامهم وقضاياهم، ولا يقف على التلّ عندما ينتشر فساد أو منكر أو انحراف، أو يُنتَقَص من معروف، أو عندما توجد طواهر تخلّ بأمن المجتمع وسلامته.

أخيراً، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلّا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنّة». وعنه (عليه السلام): «تنافسا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهلّه، فإنّ للجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلّا مَنْ اصطنع المعروف في الحياة الدُّنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن، فيوكّل الله عزّ وجلّ به مَلَكَيْن، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه، ويدعوان بقضاء حاجته»، ثمّ قال (عليه السلام): «والله، لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة».